

الزهو والحسد والكذب والخيانة فلم أعرفها بطبعي قط  
وكأنتي لا حمد لي في تركها لمنافرة جباتي إياها والحمد لله رب  
العالمين

من عيب حب الذكر أنه يحبط الاعمال اذا أحب عامليها  
أن يذكر بها فكاد يكون شريكاً لأنه يعمل لغير الله تعالى  
وهو يطمس الفضائل لأن صاحبه لا يكاد يفعل الخير حياً  
للخير لكن ليذكر به

أبلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك لأنه نبه على  
نقصك . وأبلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك لأنه نبه  
على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك وباستهدافه الى  
الانكار واللائمة

لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً . لا يخلو مخلوق من  
عيب فالسعيد من قلت عيوبه ودقت . أكثر ما يكون مالم  
يُظن فالحزم هو التأهب لما يُظن فسبجان من رتب ذلك  
ليُري الانسان عجزه وافتقاره الى خالقه عز وجل

﴿ فصل في الاخوان والصدائة والنصبة ﴾

إستبقاك من عاتبك . وزهد فيك من استهان

بسيئاتك . العتاب للصديق كالسببك للسبيكة فإما تصفو  
واما تطير

من طوى من اخوانك سره الذي يعنيك دونك  
أخون لك ممن أفشى سرّك لأن من أفشى سرّك فانه اخانك  
فقط ومن طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك  
لا ترغب فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة  
والخزي

لا تزهد فيمن يرغب فيك فإنه باب من أبواب الظلم وترك  
مقارضة الاحسان وهذا قبيح

من امتحن بأن يخاطب الناس فلا يلتقِ بوجهه كله الى من  
صحب ولا يبين منه الا على أنه عدو مناصب ولا يصبح كل  
غداة الا وهو . ترقب من غدر اخوانه وسوء معاملتهم مثل  
ما يترقب من العدو والمكاشف فان سلم من ذلك فله الحمد  
وان كانت الأخرى ألفي متأهبا ولم يمت هما . وأنا أعلمك  
أن بعض من خالصني المودة وأصفاني اياها غاية الصفاء في  
حال الشدة والرخاء والسعة والضيق والغضب والرضى تغير  
عليّ أقبح تغير بعد اثني عشر عاما متصلة في غاية الصفاء والسبب

لطيف جداً ما قدرت قط أنه يؤثر مثله في أحد من الناس  
وما صاح لي بعدها ولقد أهمني ذلك سنين كثيرةً هما شديداً .  
ولكن لا تستعمل مع هذا سوء المعاملة فتلحق بذوي  
الشرارة من الناس وأهل الخب<sup>(١)</sup> منهم . ولكن هاهنا  
طريق وعرة المسلك شاقة المتكافح يحتاج سالكها الى  
أن يكون أهدي من القطا<sup>(٢)</sup> واحذر من العمق<sup>(٣)</sup> حتى  
يفارق الناس واحلأ الى ربه تعالى وهذه الطريق هي طريق  
الفوز في الدين والدنيا يحرز صاحبها صفاء نيات ذوي  
النفوس السليمة والمعقود الصحيحة البراء من المكر والخديعة  
ويحوى فضائل لا برار وسجايا الفضلاء ويحصل مع ذلك على  
سلامة الدُّهاة وتخلص الخبثاء ذوي النكراء والدَّهَاء وهي  
أن تنكم سر كل من وثق بك وأن لا تُنشي الى أحد من  
اخوانك ولا من غيرهم من سرّك ما يمكنك طيه بوجه ما  
من الوجوه وإن كان أخص الناس بك وإن تفي لجمع من  
أتمك ولا تأمن أحداً على شيء من أمرك تُشفق عليه الا

(١) الخداع والخبث والغش (٢) طائر كالحمام أو نوع منه (٣) طر  
على قدر الحمامة وشكل الغراب يوصف بالحذر وهو لا يأوي تحت سقف

لا ضرورة لا بد منها فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله تعالى الكفاية . وابدل فضل مالك وجاهك لمن سألك أو لم يسألك ولكل من احتاج اليك وأمكنك نفعه وان لم يعتمدك بالرغبة ولا تشعر نفسك انتظار مقارضة على ذلك من غير ربك عز وجل ولا تبين الا على أن من احسنت اليه أو لم يضر بك وساع عليك فإن ذوي الترا كيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد كل من أحسن اليهم اذا رأوه في أعلى من أحوالهم . وعامل كل احد في الانس أحسن معاملة وأضمر السلوة عنه إن فات ببعض الآفات التي تأتي مع مرور الايام والليالي  
تمش مسالماً مستريحاً

لا تنصح على شرط القبول ولا تشفع على شرط الاجابة ولا تهب على شرط الإثابة لكن على سبيل استعمال الفضل وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف

حد الصدقة الذي يدور على طرفي محبوده هو أن يكون المرء يسوء ما يسوء الآخر ويسره ما يسره فما سفل عن هذا فليس صديقاً ومن حمل هذه الصفة فهو صديق وقد يكون المرء صديقاً لمن ليس صديقه وأما الذي يدخل

في باب الاضافة فهو المصادق فهذا يقتضي فعلا من فاعلين  
 إذ قد يُحب الانسان من يُبغضه وأكثر ذلك في الآباء مع  
 الأبناء وفي الاخوة مع اخوتهم وبين الأزواج وفيمن  
 صارت محبته عشقا وليس كل صديق ناصحا لكن كل ناصح  
 صديق فيما نصح فيه

وحد النصيحة هو أن يسوء المرء ماضرا الآخر ساء ذلك  
 الآخر أو لم يسؤه وأن يسره مانفعه سرّا الآخر أو ساءه  
 فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة

وأقصى غايات الصداقة التي لا مزيد عليها من شاركك  
 بنفسه وبماله لغير علة توجب ذلك وآثر على من سواك .  
 ولولا أنني شاهدت مظفراً ومباركاً صاحبي بالنسيّة لقدرت  
 ان هذا الخلق معدوم في زماننا ولكني مارأيت قط رجائين  
 استوفيا جميع أسباب الصداقة مع تأتّي الاحوال الموجبة  
 للفرقة غيرهما

ليس شيء من الفضائل أشبه بالذائل من الاستكثار  
 من الاخوان والاصدقاء فإن ذلك فضيلة تامة مترتبة لانهم  
 لا يكتسبون الا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع

والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعليم العلم وبكل حالة محمودة  
ولسنا نعلمي الشاكرية والاتباع أيام الحرمة فأولئك لصوص  
الاخوان وخبث الاصدقاء والذين يظن أنهم أولياء وليسوا  
كذلك ودليل ذلك انحرافهم عند انحراف الدنيا ولا نعلمي  
أيضاً المصادقين لبعض الاطماع ولا المتنادمين على الخمر  
والمجتمعين على المعاصي والقبائح والمتألفين على النيل من  
اعراض الناس والأخذ في الفضول وما لا فائدة فيه فليس  
هؤلاء اصدقاء ودليل ذلك ان بعضهم ينال من بعض  
وينحرف عنه عند فقد تلك الرذائل التي جمعتهم وإنما نعلمي  
اخوان الصفاء لغير معنى الا لله عز وجل إما للتناصر على  
بعض الفضائل الجديّة واما لنفس المحبة المجرّدة فقط . ولكن  
إذا أحصيت عيوب الاستكثار منهم وصعوبة الحال في  
إرضائهم والغرر في مشاركتهم وما يلزمك من الحق لهم عند  
نكبة تعرض لهم فإن غدرت بهم أو أسلمتهم لوئمت وذممت  
وإن وقيت أضرت بنفسك وربما هلكت وهذا الذي  
لا يرضي الفاضل بسواه إذا تشبّب في الصداقة وإذا تفكرت  
في الهم بما يعرض لهم وفيهم من موت أو فراق أو غدر من

يغدر منهم كاد السرور بهم لا يفي بالحزن الممض<sup>(١)</sup> من أجلهم  
 وليس في الرذائل أشبهه بالفضائل من محبة المدح  
 ودليل ذلك أنه في الوجه سُخْفٌ ممن برضى به وقد جاء في  
 الأثر في المدائح ما جاء إلا أنه قد نفع به في الإقصار عن  
 الشر والتزُّد من الخير وفي أن يرغب في ذلك الخلق المدوح  
 من سمعه . ولقد صح عندي أن بعض السائين للدنيا التي رجلا  
 من أهل الأذى للناس وقد قلَّد بعض الأعمال الخبيثة فقابله  
 بالثناء عليه وبأنه قد سمع شكره مستفيضاً ووصفه بالجميل  
 والرفق منتشراً فكان ذلك سبباً إلى إقصار ذلك الفاسق عن  
 كثير من شره

بعض أنواع النصيحة يشكّل تميزه من النيمة لأن من  
 سمع انساناً يذم آخر ظالماً له أو يكيد ظالماً له فكتم ذلك عن  
 المقول فيه والمكيد كان الكاتم لذلك ظالماً مذموماً ثم إن أعلمه  
 بذلك على وجهه كان رجاؤه وقد على الذم والكائد المبالغه استحقاقه  
 بعد من الأذى فيكون ظالماً له وليس من الحق أن يقتصر من  
 الظالم بأكثر من قدر ظلمه فالتخاص من هذا الباب صعب

(١) أمته الجرح أوجعه ومضه لغة فيه أم لسان العرب

إلا على ذوي العقول . والرأي للعاقل في مثل هذا ان يحفظ  
 المقول فيه من القائل فقط دون أن يبالغه ما قال لئلا يقع  
 في الاسترسال زائد فيهلك . وأما في الكيد فالواجب أن  
 يحفظه من الوجه الذي يكاد منه بالأطف ما يقدر في الكتمان  
 على السكائد وأبلغ ما يقدر في تحفيظ المكيد ولا يزد على  
 هذا شيئاً . وأما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على  
 المبالغ اليه وبالله التوفيق

النصيحة مرتان فالأولى فرض وديانة والثانية تنبيه  
 وتذكير وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع وليس وراء ذلك إلا  
 التركل واللطام وربما أرشد من ذلك من البغي والأذى  
 اللهم إلا في معاني الديانة فواجب على المرء تزداد النصيح  
 فيها رضي المنصوح أو سخط تأذى الناصح بذلك أو لم  
 يتأذى . وإذا نصحت فالنصح سراً لا جهراً وبتهريض  
 لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من  
 التصريح ولا تنصح على شرط القبول منك فان تعديت هذه  
 الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة وملاك لا مؤدي حق  
 أمانة وأخوة وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة لكن

حكيم الامير مع رعيته والسيد مع عبيده  
لا تكاف صديقك الا مثل ما تبذل له من نفسك فان  
طلبت أكثر فأنت ظالم . ولا تكسب الا على شرط الفقد .  
ولا تتولّ الا على شرط العزل والا فانت مضرّ بنفسك  
خبيث السيرة

مساحة أهل الاستئثار والاستغنام والتغافل لهم ليس  
مروءة ولا فضيلة بل هو مهانة وضعف وتَضْرِيَةٌ<sup>(١)</sup> لهم على  
التمادي على ذلك الخلق المذموم وتغيبط لهم به وعون لهم  
على ذلك الفعل السوء وانما تكون المساحة مروءة لاهل  
الانصاف المبادرين الى الانصاف والا يثار فهؤلاء فرض  
على أهل الفضل أن يعاملوهم بمثل ذلك لا سيما ان كانت  
حاجتهم أمسّ وضرورتهم أشد

فان قال قائل فاذا كان كلامك هذا موجبا لا إسقاط للمساحة  
والتغافل للاخوان فيه استوى الصديق والعدو والأجنبي في  
المعاملة فهذا فساد ظاهر ( فنقول ) وبالله التوفيق كلاما يحض  
الا على المساحة والتغافل والا يثار ليس لأهل التغمم لكن

(١) يقال ضري الشيء بالشيء اذا اعتاده فلا يكاد يصبر عنه اه

للصديق حقاً فان أردت معرفة وجه العمل في هذا والوقوف على نهج الحق فان القصة التي توجب الأثرة من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين أن يتأمل ذلك الامر فأيهما كان أسوأ حاجة فيه وأظهر ضرورة لديه فحكم الصداقة والمروءة تقتضي الآخر وتوجب عليه أن يؤثر على نفسه في ذلك فان لم يفعل فهو متغنى مستكثر لا ينبغي أن يسامح البتة اذ ليس صديقاً ولا أخاً وأما اذا استترت حاجتهما وانفقت ضرورتهما فحق الصداقة هاهنا أن يسارع كل واحد منهما الى الأثرة على نفسه فان فعلا ذلك فهما صديقان وان بدر أحدهما الى ذلك ولم يبادر الآخر اليه فان كانت عادته هذه فليس صديقاً ولا ينبغي أن يعامل معاملة الصداقة وان كان قد يبادر هو أيضا الى مثل ذلك في قصة أخرى فهما صديقان من أردت قضاء حاجته بعد ان سألك إياها أو أردت ابتداءه بقضائها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد أنت والا فأمسك فان تعديت هذا كنت مسيئاً لا محسناً ومستحقاً للوم منه ومن غيره لا للشكر ومقتضيا للمداوة

للاصداقة

لا تنقل الى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بعرفته  
فهذا فعل الازدال ولا تكتمه ما يستضرّ بجهله فهذا فعل أهل  
الشر ولا يسرك أن تُمدح بما ليس فيك بل ليعظم غمك بذلك  
لانه تقصُّك يذبه الناس عليه ويسمهم اياه وسخرية منك  
وهزؤ بك ولا يرضى بهذا الا أحمق ضعيف العقل . ولا تأس  
ان ذممت بما ليس فيك بل افرح به فإنه فضلك يذبه الناس  
عليه ولكن افرح اذا كان فيك ما تستحق به المدح وسوء  
مدحت به أو لم تمدح واحزن اذا كان فيك ما تستحق به  
الذم وسواء ذممت به أو لم تذم

من سمع قائلاً يقول في امرأة صديقه قول سوء فلا  
يخبره بذلك أصلاً لا سيما اذا كان القائل عياباً وقاعاً في الناس  
سليط اللسان أو دافع معرفة عن نفسه يريد ان يكثر أمثاله في  
الناس وهذا كثير موجود وبالجملة فلا يحدث الانسان الا  
بالحق وقول هذا القائل لا يدري أحمق ، وأم باطل إلا  
أنه في الديانة عظيم فان سمع القول مستفيضاً من جماعة وعلم  
ان أصل ذلك القول شائع وليس راجعاً الى قول انسان واحد  
أو اطلع على حقيقته الا انه لا يقدر أن يوقف صديقه على ما

ونف هو عليه فليخبره بذلك بينه وبينه في رفق وليقل له  
 النساء كثير أو حصن منزلك وثقف أهلك أو اجتنب أمراً  
 كذا وتحفظ من وجه كذا فإن قبل المنصوح ونحترز فحفظ  
 نفسه أصاب وإن رآه لا يتحفظ ولا يبالي أمسك ولم يعاوده  
 بكامة وتمادى على صداقته إياه فليس في أن لا يصداقه في قوله  
 ما يوجب قطيعته فإن اطاع على حقيقة وقدر أن يوقف صديقه  
 على مثل ما وقف عليه هو من الحقيقة ففرض عليه أن يخبره  
 بذلك وإن يوقفه على الجاية فإن غير ذلك وإن رآه لا يغير  
 اجتناب صحبته فإنه رذل لا خير فيه ولا نقيّة . ودخول رجل  
 . تستر في منزل المرء دليل سوء لا يحتاج الى غيره . ودخول  
 المرأة في منزل رجل على سبيل التستر مثل ذلك أيضاً .  
 وطلب دليل أكثر من هذين سخف . وواجب أن يجتنب  
 مثل هذه المرأة وفراقها على كل حال وممسكها لا يبعد عن  
 الديانة

الناس في أخلاقهم على سبعة مراتب فطائفة تمدح في  
 الوجه وتذم في المغيب وهذه صفة أهل النفاق من العيابين وهذا  
 خائق فاش في الناس غالب عليهم : وطائفة تدم في المشهد

والمغيب وهذه صفة أهل السلاطة والوقاحة من العيابين :  
 وطائفة تمدح في الوجه والمغيب وهذه صفة أهل الممانى والطمع  
 وطائفة تدم في المشهد وتمدح في المغيب وهذه صفة أهل  
 السخف والنواك . وأما أهل الفضل فيمسكون عن المدح  
 والذم في المشاهدة ويذنون بالخير في المغيب أو يمسكون عن  
 الذم . وأما العيابون البراء من النفاق والقحة فيمسكون في  
 المشهد ويذنون في المغيب وأما أهل السلامة فيمسكون عن  
 المدح وعن الذم في المشهد والمغيب ومن كل من أهل هذه  
 الصفات قد شاهدنا وبلونا

إذا نصحت في الخلاء وبكلام لين ولا تسند سب من  
 تحذره الى غيرك فتكون نماماً فان خشنت كلامك في النصيحة  
 فذلك إغراء وتنفير وقد قال الله تعالى « فقولوا له قولاً لينا »  
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنفروا » وان نصحت  
 بشرط القبول منك فأنت ظالم وملك مخفي في وجه نصحتك  
 فتكون مطالباً بقبول خطئك وبترك الصواب  
 لكل شيء فائدة ولقد اتفقت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة  
 وهي انه توعد طبيخي واحتدم خاطري وحمي فكري وتبيح

نشاطي فكان ذلك سبباً الى تواليف لي عظيمة المنفعة ولولا  
استشارتهم سا كني واقتداحهم كامنني ما انبعثت لتلك التواليف  
لاتصاهر الى صديق ولا تباعمه فما رأينا هذين العمليين  
الا سبباً للقطيعة وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيداً للصلة  
فليس كذلك لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب  
حظ نفسه والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً فاذا اجتمع طلب  
كل امرئ حظ نفسه وقعت المنازعة ومع وقوعها فساد  
المروءة وأسلم المصاهرة مغبة مصاهرة الاهاين بعضهم بعضاً  
لان القرابة تقتضي العدل وان كرهوه لانهم مضرون الى  
مالا انفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذي توجب  
الطبيعة لكل أحد الذب عنه والحماية له

### فصل في أنواع المحبة

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفي أنواعها  
المحبة كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة في المحبوب وكراهه  
منافرتة والرغبة في المقارضة منه بالمحبة وانما قدر الناس انها  
تختلف من أجل اختلاف الاغراض فيها وانما اختلفت  
الاغراض من أجل اختلاف الاطماع وتزايدها وضعفها أو